

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Ephesians

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل أفسس

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسس

الاصحاح الثالث: الكنيسة الجامعة وسرّ المسيح المكتوم

"بِسَبَبِ هَذَا أَنَا بُولُسُ، أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّمُ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي لِأَجْلِكُمْ. أَنَّهُ بِإِعْلَانِ عَرَفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالْإِيجَازِ" [1 - 3]

- يتحدث القديس بولس عن إعلان الله له عن سرّ مكتوم منذ الدهور، لا بقدراته البشرية أو مواهبه إنما بغنى السيد المسيح الذي لا يُستقصى. ما هو هذا السر؟ إنه دعوة الأمم لشركة الميراث ونوال المواعيد في السيد المسيح بالإنجيل وبهذا أسس كنيسة جامعة تمتد بين الأمم واليهود لتضم كل مؤمن ليكون له مكانه في السيد المسيح ويكون للسيد المسيح مكانه في قلبه.

- "بِسَبَبِ هَذَا": يقصد أنه بسبب هذا السر، ألا وهو انفتاح باب الإيمان أمام الأمم كما أمام اليهود ليصير الكل بناءً واحدًا حيًا، وهيكلاً لله، لم يكن القديس بولس رسولاً فقط، بل وأسيراً لأجلهم في الرب.

- كرر القديس بولس كلمة "أنا" أكثر من مرة (1: 15، 3: 1، 4: 1، 5: 32)، ليس لحب الذات، وإنما لتأكيد اعتزازه بالرسالة التي أعلن الرب سرّها له، ومن أجلها صار "أسيراً". كانت إحساسات القديس بولس تتركز في قبوله "الأسر" بفرح لأجل تمتع الأمم بالحرية، ومن أجل إخوته اليهود أيضاً (1) تسالونيكي 2: 14 - 16).

- إنه يعتز برسوليته، بل وبأسره من أجل خلاص كل نفس، حتى حسب لقب "أسير المسيح يسوع" شرفاً له، لقد شعر بالتزامه بالعمل الكرازي مهما بلغت تكلفته. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [سبق فذكر الرسول عناية السيد المسيح العظيمة المتحننة، الآن يذكر عنايته هو، التي تعتبر تافهة وكلا شيء إن قورنت بعناية السيد المسيح، لكنها كفيّلة أن تقربهم إليه، لذا يقول: أنا أيضاً "ملتزم (أسير)" فإن كان سيدي صُلب لأجلكم، بالأكثر أربط أنا لأجلكم. لم يربط السيد نفسه فحسب، وإنما ألزم عبيده أيضاً بذلك لأجلكم أيها الأمم].
- لعله أراد بإعلان أسره في روما تأكيد مثابرتة على تحقيق "سرّ" السيد المسيح أي الكرازة باسمه وقوته بين الأمم ولأجلهم، وإن كان ثمن هذا كراهية اليهود بني جنسه له وتسليمه للأسر.

"الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدُرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَابَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ.
الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخْرَى لَمْ يُعْرَفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الْآنَ لِرُسُلِهِ
الْقُدَيْسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ: أَنَّ الْأُمَّمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ
مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالْإِنْجِيلِ" [4 - 6]

- كأنه يقول إن حقيقة قبول الأمم للإيمان كانت سرّاً بالنسبة للأجيال السابقة، لم يُكشف "سرّ المسيح" كما الآن، فقد أعلن للرسل والأنبياء وذلك بالروح القدس، وليس لكل "بنو البشر". ولهذا قال السيد المسيح ان موسى وإيليا تكلموا عنه: "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني" (يوحنا 5: 46) وأيضاً: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي" (يوحنا 5: 39). وبالمثل في قصة إيمان كرنيليوس، قال القديس بطرس: "هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً" (أعمال 10: 47)، أي أنه بالروح اختار الله أن يقبلوا هذه النعمة. لقد نطق الأنبياء بذلك لكنهم لم يعرفوها معرفة كاملة، حتى الرسل لم يعرفوها بعد أن سمعوها، فقد فاقت كل الحسابات البشرية والتوقعات العامة. وبذلك أصبح الكل "شركاء في الميراث والموعود والجسد"؟ إذ يصيرون جسداً واحداً، ويقتربون إليه في علاقة قوية للغاية.

**"الَّذِي صَرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهَبَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ.
لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ أُعْطِيتُ هَذِهِ النِّعْمَةَ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الْأُمَمِ بِغَنَى
الْمَسِيحِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى" [7 - 8]**

- يؤكد القديس بولس أكثر من مرة أن تحقيق "سر المسيح" ليس عن فضل بشري، كما لا توقعه العقبات الإنسانية، إنما يتحقق "حسب فعل قوته" (قوة الله)، أما من جهة نفسه فهو مجرد خادم "أصغر من جميع القديسين" وقد كان هذا التواضع لازماً لأنه حيث يكون البناء شاهقاً جداً يلزم أن تكون الأساسات عميقة للغاية. البناء الذي أمامه غاية في العلو، إذ وهبت له نعمة خاصة ليبشر "بين الأمم" ويحقق خطة الله خلال "غنى المسيح الذي لا يُستقصى".

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إذ أوشك أن يتحدث عن عظمة نعمة الله، اسمع ماذا يقول: "لي أنا أصغر جميع القديسين أُعْطِيتُ هذه النعمة". كان تواضعاً حقاً، إذ كان ينتحب خطاياها السابقة مع أنها عُفرت له، فكان يذكرها، واضعاً نفسه مقياساً حقيقياً حيث دعا نفسه: "مجدفاً ومضطهداً ومفترياً" (1 تيموثاوس 1: 13)... مرة أخرى يدعو نفسه: "السقط" (1 كورنثوس 15: 8). أما أن يضع نفسه بعد قيامه بأعمال عظيمة صالحة فيدعو نفسه: "أصغر جميع القديسين" فهذا تواضع بالحقيقة عظيم وفائق].

**"وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مِنْذُ الدُّهُورِ فِي اللَّهِ خَالِقِ
الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَكِنِّي يُعْرَفُ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي
السَّمَاوِيَّاتِ بِوَأَسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي
صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا" [9 - 11]**

- إن كانت نعمة الله قد أثارَت عينيه ليرى "سر المسيح"، فبالضرورة ملتزم أن يقود، إن أمكن الجميع ليروا ما قد رآه، سر الله المكتوم منذ الدهور، سر حب الله خالق الجميع معلناً بيسوع المسيح مخلص الكل، السر الأزلي في خطة الله وتدبيره. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حقاً، لم يعلن (السر) لإنسان، فهل أنت تنير السر للملائكة ورؤساء الملائكة والرؤساء والسلاطين؟ يقول: "نعم" فإنه كان مكتوماً في الله، بل "في الله خالق الجميع". أنت جاسر وتنطق بهذا؟ يجب: "نعم". وكيف أعلن هذا للملائكة؟ "بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة"... ألم تكن الملائكة تعرفه؟... ألم يعرفه حتى رؤساء الملائكة؟ حتى هؤلاء لم يعرفوه؟... لقد دعاه سرّاً، لأن الملائكة لم يكونوا يعرفوه، ولا كان قد أعلن لأحد... حقاً لقد عرف الملائكة أن الأمم مدعوون فعلاً، أما إن يكونوا مدعوين للتمتع بذات امتيازات إسرائيل وأن يجلسوا على عرش الله، هذا من كان يتوقعه؟ من كان يصدقه؟].

**"الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَن تَقَّةٍ (باليونانية Parresia أي حرية).
لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لَا تَكَلُّوا فِي شِدَائِدِي لِأَجْلِكُمْ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ" [12 - 13]**

- إذ يتحدث القديس بولس عن هذا السرّ الإلهي الأزلي الذي أعلنه له، والذي كرس حياته لتحقيقه، أراد أن يؤكد ثقته في الله أن خطته هذه ستتحقق بالرغم من أسر بولس أو سجنه... حقًا لقد وُضع تحت قيود منظورة، لكنه يشعر بالحرية والانطلاق بثقة في تحقيق سرّ المسيح.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: **"لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ":** أي جرأة مرتبطة بثقة متهلة. من أين تأتي؟ من إيماننا به! هذه الدعوة لتحقيق **"سرّ المسيح"** لا فضل له فيها، إنما هي حسب فعل قوة الله... لكن القديس بولس لم يقف سلبًا بل جاهد واحتمل حتى السجن، حاسبًا هذا لمجد الأمم؛ الآن يسأل الأمم أنفسهم أن يشاركوه هذا الجهاد قائلاً **"لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لَا تَكَلُّوا فِي شِدَائِدِي لِأَجْلِكُمْ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ"**. هكذا أحبهم الله حتى بذل ابنه لأجلهم، وسمح بالآلام لخدمته من أجلهم، فقد ألقى بولس في السجن لكي ينالوا بركات وقوة. بالتأكيد كان هذا بسبب محبة الله الفائقة لهم. هذا ما قاله الله أيضًا عن الأنبياء، **"أقتلهم بأقوال فيمي" (هوشع 6: 5)**.

"سَبَبِ هَذَا أَحْنَى رُكْبَتِي لَدَى أَبِي رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ" [14 - 15]

- ما دام تحقيق **"سرّ المسيح"** هو عمل إلهي، فلا يكفي جهاد الرسول أو جهادهم، وإنما لا يكف الرسول وسط شدانده من الانحناء أمام الآب طالبًا قوته وإمكاناته.

- لعل القديس بولس أراد أن يتمثل بمسيحه الذي دخل البستان ليشرب كأس الآلام لأجل مجدنا عندما انحنى على ركبته أمام الآب ليحمل الصليب ويحقق المصالحة.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ها هو يظهر روح صلته عنهم، إذ لم يقل: **"أصلي"** فحسب، وإنما أظهر تضرعاته القلبية باتحناء الركب. **"الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ"**، أي إنه لم يحسبها ضمن عداد الملائكة بل انه قد خلق عشائر في السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت، وليس كما كان اليهود].

- بمعنى آخر أن القديس بولس إذ ينحني بركبته كما بكل قلبه لدى الآب يطلب تحقيق مشينته الإلهية، أن يضم السمايين والأرضيين كعائلة مقدسة ترتبط معًا في المسيح يسوع ربنا.

**"لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَّيِدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ
الْبَاطِنِ. لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ" [16 - 17]**

- إن كنت بالحب الحقيقي العامل لا أكف عن أنحني بركبتي كما بإنساني الداخلي لأجلكم فإنني أطلب ليهبكم تأييداً داخلياً في إنسانكم الداخلي، وقوة روحية، ليس من أجل صلواتي ومحبتتي وإنما بالحق من أجل غنى مجده. كأنه يقول: إن صلواتي تأتي متناغمة مع مشيئة الله وغنى مجده المشتاق أن يعمل في إنسانكم الباطن أو الداخلي.

- ما هو التأييد بالقوة بروحه في الإنسان الباطن إلا التمتع **"بحلول السيد المسيح بالإيمان في قلوبكم"**. هنا يركز القديس بولس أنظارهم نحو الإنسان الباطن ليتجلى السيد المسيح فيه، معلناً ملكوته في داخلنا. لهذا حينما تحدث القديس يوحنا كاسيان عن الصوم كأحد التداريب الروحية، طالبنا ألا نركز على التصرفات الخارجية كالامتناع عن الطعام وإنما على **"الحياة الداخلية في المسيح يسوع"**، إذ يقول: [عندما يصوم الإنسان الخارجي يلزم أن يمتع الإنسان الداخلي عن الطعام الرديء بالنسبة له، إذ يحثنا الرسول الطوباوي أن يظهر الإنسان الداخلي - فوق الكل - نقياً أمام الله، فيوجد مستحقاً لقبول المسيح ضيفاً في داخله.]

**"وَأَنْتُمْ مُتَأَسِّلُونَ وَمَتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ
الْقَدِيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّوْلُ وَالْعَمَقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ
الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مَلَأِ اللَّهِ" [18 - 19]**

- لقد سبق فأعلن السيد المسيح هذه العطية للقلوب المحبة الأمانة، إذ قال: **"إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي، وإليه تأتي، وعنده نصنع منزلاً"** (يوحنا 14:

18 - 19). الآن يعلن القديس بولس أن حلول السيد المسيح في القلب يجعل النفس متأسلة متأسسة في المحبة الإلهية، فتتمتع بعطية **"الإدراك الروحي"**، و**"المعرفة الفائقة"**. يقول القديس أغسطينوس: [العرض هو الأعمال الصالحة، والطول هو المثابرة والمداومة على الأعمال الصالحة، والعلو هو رجاءكم في البركات العتيدة. فمن أجل هذه تؤمرون: **"ارفعوا قلوبكم"**، اصنعوا خيراً، ثابروا عليه من أجل جعله الله. احسبوا الأمور الأرضية كلاً شيء].

- يمكننا القول أنه خلال السيد المسيح المصلوب فينا يكون لنا العلو حيث تتفتح عيوننا بصيرتنا بالرجاء في الأبدية، ويكون لنا العمق حيث نكون متأسسين بنعمة الله في محبته الخفية، ويكون لنا الطول والعرض أي المحبة العملية لله والناس على المستوى الراسي والأفقي؛ بمعنى آخر في المسيح يسوع ربنا يثبت رجائنا وإيماننا ومحبتنا لله والناس.

"وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدَّهُورِ.

آمين" [20 - 21]

- يقول القديس أغسطينوس: [يحل (السيد المسيح) في تلك القلوب المخلصة (الأمينة)، في المتأصلين في محبته، الذين يبقون ثابتين غير مترعزين. لكي تنالوا القوة (الكاملة)، فالأمر يتطلب قوة عظيمة: "لِئَلَّا تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مَلَأِ اللَّهِ". ماذا يعني القديس بولس بهذا التعبير؟ مع أن محبة السيد المسيح ترتفع فوق كل معرفة بشرية، لكنكم ستعرفونها إن كان لكم السيد المسيح ساكنًا فيكم، نعم ليس فقط تعرفون ذلك منه، بل أيضًا وتمتلنون إلى كل ملء الله].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [فعل الله "فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ" ... إنني بالحق أصلي، لكنه هو يهب أكثر مما نطلب... فإننا لم نطلب هذه الأمور ولا توقعناها]. يشعر القديس بولس أنه إن كان بدافع الحب يطلب بالحاح، فإن الله في عطايه للبشرية يفيض أكثر مما كان يطلب أو يتوقع، لذا ختم حديثه بتقديم الحمد والشكر لله الذي يتمجد في كنيسته. فما أجمل كلماته "لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، فإن الأب يتمجد في الكنيسة عروس المسيح، يتجلى بقوة في حياة أعضائها.

EPHESIANS 3:20-21

Now to Him who is able to do exceedingly abundantly above all that we ask or think, according to the power that works in us, to Him be glory in the church by Christ Jesus to all generations, forever and ever. Amen.

القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين.